المجالس الاجتماعية في المجتمع العباسي 132-447هـ/749-1055م

أ/ أحلام يوسف/ قسم التاريخ /جامعة 8 ماي 45/ قالمة

ahlem.hisoir@gmail.com

الملخص: تعد المجالس الاجتماعية ظاهرة مهمة في حياة العرب والمسلمين كان الهدف منها في البداية عقد المناقشات للتوصل إلى أحكام معينة أو وضع الحلول والمعالجات للقضايا التي تطرح فيها، وأحيانا كان القصد منها المسامرة. وفي المجتمع العباسي انتشرت هذه المجالس انتشارا كبيرا نتيجة التطور الّذي وصلت إليه الحضارة العباسية في مختلف المجالات. ونتيجة البذخ والتأثر بالحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الفارسية. وعليه جاءت هذه الدراسة لتتناول أهم هذه المجالس الاجتماعية التي برزت في المجتمع العباسي على اختلاف طبقاته.

الكلمات المفتاحية: مجالس، اجتماعية، مجتمع، عباسي.

Summary:

Social councils are considered as an important phenomenon in the Arabs and Muslims life. Initially, the purpose of those councils was to hold discussions in the aim to reach specific provisions, finding solutions or treat the issues that arise, sometimes the only aim was entertainment. In the Abbasid society, this type of councils was spread widely as a result of the development reached by the Abbasid civilization in various fields, and the result of extravagance and influence by other civilizations , especially the Persian civilization,

The aim of this study is to deal with the most important social

councils that emerged in the Abbasid society of different strata.a
Keywords : councils, social, society, Abbasi.

المقدمة: عرف المجتمع العباسي التقاء كثير من الأجناس والعناصر والطوائف الدينية من مسلمين وأهل ذمة. وهذا الخليط البشري الكبير ذو الدماء واللغات والعادات والتقاليد والآراء والمذاهب المتعددة أكسب الدولة العباسية لونا خاصا فريدا في كل المجالات وبخاصة الجانب الاجتماعي. حيث تعددت المجالس الاجتماعية في هذه الفترة نتيجة تأثر العباسيين بالفرس والروم من جهة ولانتشار الجواري في المجتمع العباسي من جهة أخرى، وبهذا جاءت هذه الدراسة لإعطاء فكرة عن أهم هذه المجالس الّتي تنوعت بين مجالس العلم ومجالس الوعظ والوعاظ ومجالس الشعراء والشراب ومجالس الغناء والطرب.

أولا: ماهية المجالس:

إنّ كلمة المجلس في اللغة والاصطلاح تحمل معان عدّة منها الموضع الّذي يجلس فيه القوم. والجلسة بالكسر الحالة الّتي يكون عليها الجالس. وتفيد كلمة المجلس معنى النادي أيضا. فقيل الندي: المجلس، ومنتدى القوم مكان متحدّثهم، والأندية جمع ندي. ومن ثمّ فالندي هو المجلس والنادي[1].

وكانت تطلق كلمة المجلس في عصر ما قبل الإسلام على مجلس القوم الّذي يعقدونه لمعرفة الأحداث وتبادل الأخبار وإنشاد الشعر والتعرف على الموروث الحضاري القديم لأمة العرب وغيرهم، والتباحث في الأمور العامة كنادي قريش وهي دار الندوة[2]. ولكن ازدادت أهمية ودور المجالس بعد ظهور الإسلام ففيه عقدت الاجتماعات للتباحث في أمور الدين الجديد[3].

ثم ظهرت بعد ذلك مجالس أدبية وعلمية. وبهذا شكّلت المجالس ظاهرة مهمّة في حياة العرب والمسلمين هدفوا من خلالها عقد المناقشات للتوصل إلى أحكام معيّنة أو وضع الحلول والمعالجات للقضايا الّتي تطرح فيها، وأحيانا كان القصد منها المسامرة[4].

ثانيا: أهم المجالس في المجتمع العباسي:

إذا كانت مجالس الخلفاء الراشدين تميّزت في المسجد أو المنزل بالبساطة على نحو تلك الحياة البسيطة الّتي كان يحياها أي عربي في عهدهم وكانت تتم في المساجد أو المنازل، وتطورت في العهد الأموي حيث اختلفت مجالس الخلفاء الأمويين ومجتمع العامة الاجتماعية باختلاف وتغيّر أوضاع الدولة الاسلامية عمّا كانت عليه من قبل، وكان أهمها مجالس المناظرة الّتي انتشرت في الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفي حضرة الخلفاء[5].

غير أنّ هذه المجالس في العهد العباسي أصبحت لها وظائف ومهام أخرى تعددت وتنوعت بحسب مستوى البذخ الذي وصل إليه المجتمع العباسي الّذي عرف على اختلاف طبقاته وعناصره السكانية انتشار العديد من المجالس ونذكر من أهمها:

1- مجالس العلم: كانت مجالس العلم بالعراق وخاصة بغداد عامرة بعلوم الفقه والحديث واللغة والاجتماع، والعلوم الطبيعية، فقد كانت بغداد مقصدا لطلاب العلم والعلماء على حد سواء، وبرز العشرات من كبار العلماء في الدراسات الدينية واللغوية والعلوم الطبيعية، وما تركه العلماء من تراث علمي كبير في هذا العصر لهو دليل على التطور العلمي الّذي بلغته بغداد فقد كانت المساجد والجوامع عامرة بحلقات العلم المنتشرة فيها، ولم تقتصر المجالس العلمية على بغداد فقط بل شملت كل مدن العراق[6].

وقد لازم العديد من العلماء التدريس والوعظ بالمساجد والجوامع الّتي كانت عامرة بحلقات العلم المنتشرة فيها، فقد كان جامع المنصور ببغداد مرتحلا لطلاب العلم تعقد به المجالس العلمية لكبار العلماء، كما كانت تعقد المجالس الأدبية في جامع المنصور عصر كل جمعة، كما كان جامع القصر مجمعا لآلاف العلماء وطلاب العلم[7].

ولم تكن هذه المجالس مقتصرة على الجوامع والمساجد وقصور الخلفاء والوزراء فقط، بل كانت منازل العلماء أيضا من أماكن العلم الّتي تدور بها المناظرات العلمية في شتى فروع المعرفة. فقد كان هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) يزور العلماء أمثال مالك بن أنس[8] وسفيان بن عيينة[9] في بيوتهم. ويحضر حلق العلم، ويتعلم على أيدي هؤلاء العلماء أسوة مع غيره من طلاب العلم من عامة المسلمين. وسأل الرشيد الفضيل بن عياض[10] أن يأتيه ليأخذ عنه العلم والنصح فرفض إتيانه، فما كان من الخليفة إلّا أن أتاه في داره[11].

كما كان يأتي ابن السماك[12] في مجلسه، وقد أثنى عليه ابن السماك في ذلك حيث قال: « تواضعك في شرفك أشرف من شرفك». وقصد المتوكل الإمام أحمد بن حنبل للاستئناس بآرائه، ولكن الإمام أحمد رفض مقابلته. كما كانت حوانيت الوراقين وباعة الكتب عامرة بمجالس العلماء والأدباء ومحبي العلم حيث وصفها ابن الجوزي[13] « إنّها مجالس للعلماء والشعراء».

وفي العهد البويهي(334-447هـ/946- 1056م) قرّب الأمراء البويهيون العلماء والفلاسفة إليهم وأحاطوهم بعنايتهم وتشجيعهم وكان من بينهم «إخوان الصفا»[14]، وهم من الشيعة المتطرفين تأثروا بالثقافة اليونانية وحاولوا التوفيق بينها وبين الشريعة الإسلامية، وقد اعتبروا من أشهر فلاسفة عصرهم [15].

ومن أهم المجالس العلمية في العهد البويهي نذكر مجلس أبي سليمان المنطقي[16] حيث كان من أوسع علماء بغداد نظرا وأعمقهم فكرا، فقد كان النّاس يترددون إلى مجالسه ينهلون منه العلم والأدب، وفي المجالس الّتي كانت تعقد لدى الأمراء كان العلماء يمنحون «الخلع[17] المباركة والتشريف الميمون»[18].

2- **مجالس الوعظ والوعاظ**: انتشرت بصورة كبيرة، وكانت من أهم الظواهر الاجتماعية الّتي ميّزت المجتمع العبّاسي حيث انفرد الكثير من العلماء لها. ونتيجة لما كان يتميّز به هذا العصر من حرية في التدريس والوعظ، تصدى لذلك من لم يكونوا أهلا للوعظ[19].

ولم تكن هذه المجالس تعقد في المساجد فقط، بل كانت تعقد في الأسواق والطرقات كذلك، وبعضهم اتخذ له منبرا يجلس عليه وقد ألبسه الثياب الملونة وعلق على الحائط مصلّى ممّا يوجب في القلوب هيبة القائل أكثر، وقد فرق ابن الجوزي[20] بين المشتغلين بالوعظ وبين المذكرين الّذين يغلب على مجالسهم القصص الحديثي بقوله: « إنّ لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص وتذكير ووعظ»، وبهذا كان لبعض القصاص أثر سلبي على الحياة الاجتماعية، فقد نشر بعضهم الخرافات والمعتقدات البدعية في مجالس قصصهم الديني.

وأمّا في أوقات الأزمات المذهبية وانتشار البدع عن طريق الوعظ، فقد كانت دار الخلافة تمنع الوعاظ من الوعظ وتصدر (الاعتقاد) وهو المرسوم الّذي يصدره الخليفة موضحا فيه مجال القول بالنسبة للفقهاء والوعاظ ويوقع عليه القضاة بعد الخليفة ويوزع على الوعاظ[21].

وكان المحتسب يشرف على مجالس الوعظ يتفقدها فلا يدع الرجال تختلط بالنساء حيث كانت هي الأخرى تحضر هذه المجالس مع الرجال أو في المجالس الخاصة بالنساء الواعظات، وكان يجعل ستارة تفصل بين الرجال والنساء، وإذا انفض المجلس يخرج الرجال ويذهبوا في طريق ثمّ تخرج النساء ويذهبن في طريق آخر، كما كان يقوم المحتسب بمراقبة الوعاظ فمتى عرف عن شخص أنّه يسيء القول أو أنّ أحكامه يمكن أن تؤدي إلى فتنة مذهبية، فإنّه كان يمنع من الجلوس للوعظ ويحضر إليه الفقهاء ليناقشوه في أقواله والّتي على أساسها يحكم عليه الخليفة[22].

3- مجالس الشعراء: وكانت هذه المجالس تمثل مهرجانا سنويا حافلا، يتوافد فيه الشعراء إلى أبواب الخلفاء من كل حدب وصوب، لأنّ الشعراء كانوا يدخلون على الخلفاء في كل عام مرة، وهذا يمثل اجتماعا موسميا عاما، إلّا أننا نجد عدا ذلك الاجتماع أنّ الشعراء موجودون في كافة المناسبات في البلاط العبّاسي، ومنهم من كان يقيم بصورة دائمة، فتفرش له حجرة وتقام له وظيفة[23].

اختص الخلفاء بعضهم لاصطحابهم في حلهم وترحالهم، وأجروا عليهم الجرايات[24] الدائمة عدا الجوائز بحيث وصلت جراية البعض منهم إلى خمسين ألف درهم في السنة، ومنهم من تميّز عن رفاقه فيما يأخذه من الخلفاء من الجوائز، إذ لا يعطى دون ذلك القدر، مثل مروان بن أبي حفصة فقد «كان رسمه على الخلفاء مائة ألف درهم»[25].

كما كانت بيوت الشعراء أنفسهم من أجمل المجالس الشعرية، إذ ضمّت العديد منهم، وأنشدت فيها أروع القصائد كدار المفضل الضبي، كما جرت عادة بعض الشعراء

ببغداد على التجمع أيّام الجمع في مكان ما يتناشدون الشعر، ويعرض كل واحد منهم على صاحبه أحدث ما نظم من شعر بعد مفارقتهم الجمعة السابقة[26].

وكان الشعراء أيّام الرشيد يتجمعون في بغداد عند طاق أسماء[27]. وإذا أذن لهم يتقدمون واحدا واحدا لإلقاء ما عندهم من الشعر. وكان الرسم في ذلك الزمان إذا وصل الخليفة أحد الشعراء وحرم الباقون أن يصلهم ذلك الشاعر ويعطيهم على منازلهم ومراتبهم[28].

غلب على الشعر الّذي كان ينشد في مجالس الخلفاء الطابع السياسي كالمديح والرثاء، فإذا مات خليفة وقام آخر وقف الشاعر ليرثي الخليفة الراحل ويمتدح الخليفة الجديد، كما أكثر شعراء هذا العصر من مدح الخلفاء الّذين قادوا الجيوش بأنفسهم ضد الروم ودحروهم في أكثر من مرة مثل الرشيد والمأمون(198-218هـ/813-833م) والمعتصم (218-227هـ/833-841م)[29].

كما أشاد الشعراء بمدائحهم على الأخلاق الرفيعة للخلفاء ومثالية حكمهم وما يجب أن يقوم عليه الحكم، من الأخذ بدستور الشريعة وتقوى الله والعدالة، وبهذا أسهموا من خلال مجالسهم في صنع الأحداث السياسية في البلاط العبّاسي من خلال الترويج للأفكار الّتي ينوي الخليفة الإقدام عليها[30].

ولم تقتصر هذه المجالس على أولى الشأن من خلفاء ووزراء وأمراء، بل كان للأحزاب والفرق المختلفة شعراؤها ومجالسها الخاصة بها الّتي تسعى لتوسيع قاعدتها الشعبية وكسب مزيد من الأنصار عن طريق الشعر والخطب البليغة فمثلا كان للأشراف بالكوفة مجالس شعرية يتناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون فيها أيّام الناس[31]، فقد

عرف كل من حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان بأنّهم من شعراء الزنادقة، كما كان للمتصوفة شعراء وللشعوبية الّتي ظهرت في العصر العباسي شعراء أيضا[32].

4- مجالس الشراب:

انتشرت مجالس الشراب[33] في العراق بسبب انفتاح المجتمع العباسي على غيره من الشعوب وبخاصة الفرس والروم. وقد أتاح هذا المناخ المتحرر إلى انتشار مجالس الشراب الّتي تداولوا فيها شعر المجون. وأطلق المجان على جماعتهم اسم الفتيان حتّى ارتبطت الخمرة بالفتوة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وكانت هذه المجالس تتزين بالورود والرياحين، كما كانوا يزينون رؤوسهم أحيانا بأكاليل الزهر[34].

وقد اكتسب ساقي الخمر أهميّة خاصة في هذه الجلسات، حتّى أنّ وكيلا لطاهر بن الحسين[35] اشترى ساقيا بألف دينار. وفضّل الشّاربون السقاة النّصارى واليهود، واستهجنوا أن يكون الساقي مسلما، واعتبروه خروجا على تقاليد الحانات[36].

وكانت طبقة العامة تستهلك الأنواع السيّئة من الخمور. في حين كانت طبقة الخاصة تستهلك أجود الأصناف، فمثلا كان إسحاق الموصلي يشرب نبيذ القاطرميز المشمس، وكان أبو نواس[37] وابن المعتز[38] يفاخران بشرب الخمرة المعتقة في جرّار مزفّتة[39].

وقد اختصت أهل الذمة بإنتاج وبيع الخمور. على اعتبار أنّ الإسلام حرّم شرب الخمر وإنتاجها وتسويقها. لهذا نجد أنّ أهل الذمة على معرفة كبيرة بالخمور الجيّدة وصناعتها، وقد قيل عن الخمرة هي تلك الّتي يبيعها « شيخ لا يفصح العربية، مجوسي

اسمه شهريار، أو يهودي اسمه شلوما، أو نصراني اسمه يامروا». وكان أفضل أنواعها تلك الّتي أنتجت في محلة دير الروم أو الّتي عتقها يهود سورا[40]، أو الّتي عتقت في كركين[41]،

5- **مجالس الغناء والطرب**: انتعشت الموسيقى انتعاشا كبيرا في العصر العباسي، وكان لظهور أنواع الشعر من القصائد والموشحات أثر على تقدم الغناء، وقد وضعت القواعد والآداب لحضور المجالس الخاصة بالشعر والغناء والموسيقى الّتي كانت تعقد في بيوت الخلفاء والوزراء والأمراء، كما نقشت أبيات الشعر على أواني الذهب والفضة، وتفننوا في نقشها على آلات الطرب[42].

وكانت دار ابن رامين بالكوفة ملجأ يؤمه هذا السواد الأعظم من المغنين والمغنيات والفتيان والجواري، ونتيجة لتشجيع الخلفاء وعشّاق الملذات والشهوات، اتّسع الغناء وازدهر حتّى يخيّل إلى الإنسان وأنّ كافة مدن ودور العراق قد تحولت إلى مقاصد كبرى للغناء والرقص[43].

وممّا يروى عن شغف خلفاء بني العبّاس بالغناء والموسيقى، والطريقة الّتي كانت تعد عليها مجالسهم أنّ أبا العبّاس السفاح كان في أول أيّامه يظهر للندماء، ثمّ ما لبث أن احتجب عنهم، وصار يستمع الغناء من وراء الستارة، فإذا بلغ به الطرب درجة الإعجاب، صاح وراء الستارة قائلا: «أحسنت والله، أعد هذا الصوت»، وممّا يدل على شغفه بالغناء وحبّه للمطربين والمطربات، أنّه لم يكن يفارقه من بحضرته إلّا ووصله بصلة أو كسوة[44].

وكان أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) لا يظهر للندماء حيث جعل بينه وبين الستارة الّتي تحجبه عشرين ذراعا[45]، فإذا غنّاه المغني، وشعر بأنّ الطرب قد استحوذ على شعوره، أسرعت بعض الجواري إلى تحريك الستارة، وعلى إثر

ذلك يقوم صاحب الستارة بتبليغ ما يقترحه الخليفة من أغان وأناشيد، مبلّغا إيّاهم قول الخليفة بعد كل أغنية يغنّونها له «أحسنت، بارك الله فيك»[46].

كما كان الخليفة المهدي (158-169هـ/774-785م) في أوّل أمره يحتجب عن ندمائه متشبّها في ذلك بالمنصور، ثمّ ما لبث أن صار يظهر لندمائه، فلمّا أشار عليه عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي (ت ؟) بأن يحتجب عليهم قال له « إنّما اللذّة في مشاهدة السرور وفي الدنو ممّن سرني، فأمّا وراء وراء فما خيرها ولذتها »، كما خالف المهدي أيضا أباه في الإغداق على المغنّين حيث كان كثير العطاء[47].

وكان الرشيد محبا للشعر ومعجبا بالغناء، وكان لا يتردد في تخصيص جوائز ثمينة لمن أجاد وأحسن في الإنشاد والغناء، كما كان له أكثر من مغن ومغنيّة، فممّن اشتهروا بالإضافة إلى إبراهيم الموصلي ابن جامع السهمي، وزلزل وعمرو الغزال وعلويّة وغيرهم[48].

وقد أحصي عدد المغنين في بغداد من الذكور سنة 305هـ/917م فقدر بخمسة وسبعين مغنيا. وبلغ عدد الجواري المغنيات في بغداد سنة 306هـ/918م أربعمائة وستين جارية مغنية. بالإضافة إلى عشر مغنيات من الحرائر. يضاف إلى هذا العديد من الجواري والحرائر اللواتي كنّ يغنين في البيوت، أو اللواتي كنّ لا يتظاهرن بالغناء لشدة الرقابة الأبوية عليهنّ. ومن أشهر مغنيات بغداد في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي عريب وبدعة، وسراب وشارية، وندمان ومنعم ونجلة وتركية وفريدة وعرفان[49].

وإلى جانب الأماكن الخاصة والحانات الّتي كانت تقام فيها مجالس الطرب، فقد كانت تقام أيضا في أماكن مفتوحة ومعزولة، فقد انتشر الغناء في جميع محلات العراق

وشوارعها، حتّى أنّ أحد الفقهاء ذكر أنّه كان يمشي في شوارع العراق فيسمع أصوات المغنيات من البيوت[50].

وقد حظي الغناء باحترام العراقيين في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وعبّر نصر بن يعقوب الدينوري(ت؟) عن هذا الموقف باقتران المغني بالحكيم أو المذكّر أو الخطيب. ومع هذا فقد اعتبر احتراف الأشراف للغناء عملا مشينا. كما اعتبر غناء الأغنياء في المحلات العامة أمرا قبيحا، وسمح للفقراء والموالي باحتراف هذه المهنة[51].

وفي العهد البويهي استمر اهتمام الأمراء والوزراء وعليّة القوم بمجالس الغناء والطرب الّتي ازدهرت في العراق، وقد شهدت قصور الأمراء البويهيين الاهتمام بمجالس الغناء والطرب، فقد كان الأمير البويهي معز الدولة (334-356هـ/945-966م) يقضي وقتا طويلا مع الموسيقيين. وكذلك كان عضد الدولة (324-372هـ/ 935-982م) من المهتمين بالموسيقى. كما ظهر في عهد البويهيين أفذاذ الموسيقيين الّذين صنفوا الكتب في الموسيقى والغناء، أمثال أبي نصر محمد بن طرخان الفارابي المتوفى سنة 339هـ/950م الفيلسوف التركي الّذي أتقن ببغداد الموسيقى وهو أوّل من ركّب آلة القانون ذلك التركيب الّذي اشتهرت به[52].

ويرجع انتشار الغناء في ذلك العصر إلى كثرة الجواري. إذ كان معظم القيان اللاتي احترفن الغناء في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من الجواري. وقليل منهن من الحرائر. وكانت الجواري تغنين من وراء ستار. أمّا إذا أقيم حفل خاص وأرادوا إكرام الضيف غنّت المغنيات أمام الستار. وقد انتشر الغناء في العهد البويهي في المحال العامة والندوات الخاصة وفي قصور الخلفاء والأمراء والوزراء وفي بيوت الأغنياء ودور الفقراء[53].

وقد ضمنت مجالس الغناء والموسيقى الّتي أقامها الأمراء والوزراء كثيرا من الندماء. وكان على النديم أن يكون أديبا ملتزما بالشمائل الخلقية وملما بعلوم الطب والفلك، والنجوم والطرد والقنص ولعب الصوالج، والموسيقى والغناء[54]. ويذكر المسعودي[55] أنّ كاتبا فاخر نديما فقال له النديم «أنا قرين وأنت تابع وأنا سمّيت نديما للندم على مفارقتي».

وكان من أشهر المجالس: مجالس الوزير أبي الفضل بن العميد (ت366هـ/976م) الّذي اشتهر بكثرة الندماء والمغنين، ومجالس الوزير أبي محمد المهلبي (ت352هـ/963م) وزير معز الدولة البويهي الّذي اجتمع عنده كثير من الندماء والشعراء والمغنين والموسيقيين وأهل الأدب والفضل[56].

خاتمة: وفي الأخير نقول أنّ المجالس الاجتماعية في العهد العباسي عبّرت عن المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العباسي في الفترة المدروسة، وكانت مظهرا من مظاهر تطور الحضارة العباسية في شتى المجالات كما يتبيّن لنا من خلال هذا البحث :

– أنّ العبّاسيين أخذوا نظام مجالسهم عن الفرس حيث كان لانتشار النفوذ الفارسي في الدولة العباسية أكبر الأثر في تطور نظام المجالس وفي ظهور أنواع جديده وتغيّر كذلك أحوالها، فقد كانت هذه المجالس في البداية أي في العصور السابقة بسيطة ومتواضعة، ولكنها تطورت وتعقدت وتنوعت بتطور الأزمان وتعاقب الحضارات حيث صار لها رسوم وأصول وآداب خاصة.

– أنّ الخلفاء العباسيين اهتموا اهتماما كبيرا بمجالسهم، وقد أصبحت المجالس العلمية تشكل واحدة من أهم سمات الحركة الفكرية العربية الإسلامية في العصور الإسلامية

الوسيطة حيث ساهمت مناقشات العلماء في مختلف المجالات فيها في إغناء مسيرة الفكر العربي الإسلامي.

– أنّ مجالس الوعظ والوعاظ كانت من أبرز مجالس العراق وأهم الظواهر الاجتماعية الّتي ميّزت المجتمع العباسي، ولكن ما يعاب على هذه المجالس هو تصدي لها أحيانا من لم يكونوا أهلا لذلك حيث كان القصاص يجلس في المساجد أو البيوت، ويقص على الناس القصص والتواريخ والأساطير ، وهي تعتمد غالبا على الخيال فاكتسبت صفة التشويق والترغيب وبهذا كان لبعضها أثر سلبي على الحياة الاجتماعية.

– أن البذخ والترف الّذي وصل اليه المجتمع العباسي والاحتكاك بشعوب المناطق المفتوحة أدى الى انتشار نوع آخر من المجالس وهو مجالس الغناء والطرب ومجالس الشراب، وقد وضعت آداب وقواعد لحضور هذه المجالس الخاصة بالغناء والموسيقى خاصة تلك التي كانت تعقد في بيوت الخلفاء والوزراء والأمراء، كما نالت مجالس الشعراء العناية والاهتمام هي الأخرى، ولهذا حظيت هذه الفئة بمنزلة رفيعة عند الخلفاء العباسيين وزاد عددهم نتيجة لاهتمام الخلفاء أنفسهم بالشعر خاصة وأنّهم اتخذوا من الشعر وسيلة لتثبيت مركزهم وتدعيم كيانهم.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]– الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ، 1426هـ/2005م ، ص336.

[2]– نادي قريش: هي دار الندوة بمكة أحدثها قصي بن كلاب بن مرة عندما حكم مكة، كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، يحضره بنو مناف وبنو عبد الدار وبنو أمية وبنو عبد شمس، وقد كان لعبد

المطلب وأولاده الرأي الراجح فيه. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1397ه/1977م ،ج2، ص423.

[3]- خلود مسافر الجنابي، المجالس العلمية في عصري ما قبل الإسلام والرسالة والعصور الراشدية والأموية والعبّاسية، الدار العربية للموسوعات،بيروت،1433ه/2012م ،ص15.

[4]- المرجع نفسه، ص15.

[5]- رفيدة اسماعيل عطا الله المنان اسماعيل، بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية 132-656ه/754-1358م، بحث مقدم لنيل درجة ماجستير الآداب في التاريخ، جامعة الخرطوم، 2009م،ص34.

[6]- جيهان سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتّى سقوط بغداد سنة 656ه/1258م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة،1427 ه/2006م ، 335.

[7]- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج17، ص276-277.

[8]- مالك بن أنس :أحد الأئمة المشهورين، مؤسس المالكية أحد المذاهب الفقهية السنيّة، توفي سنة 179ه/795م، من كتبه الموطأ، والرد على الدهرية والمدونة الكبرى وغيرها. أنظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح يحي الشامي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1424ه/2004م، ج4،ص136.

[9]- سفيان بن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد ، محدث الحرم المكي، من الموالي، ولد بالكوفة سنة 107ه/725م، وسكن مكة وتوفي بها سنة 198ه/813م، كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال عنه الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (دت)، ج2، ص391. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402ه/1982 ، ج8، ص454-474.

[10]- الفضيل بن عياض: ولد بسمرقند، وقدم الكوفة حيث سمع الحديث بها، ثمّ انتقل إلى مكة فبقي بها إلى أن مات سنة 187هـ / 802م ، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق، وكان سبب توبته أنّه عتق جارية فبينا هو يرتقي الجدار إليها سمع قارئ للقرآن يقرأ **قوله تعالى في سورة الحديد آية 16:" ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله"** ، فكانت هذه الآية سبب توبته. أنظر: اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضح حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ/1997م ، ج1، ص321.

[11]- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تعليق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،1997،ج2، ص211.عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة: دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ،2008 ، ص163.

[12]- ابن السماك: هو أبو العباس محمد بن صبيح، ابن السماك، سيّد الوعاظ، مولى بني عجل، كان كبير القدر ومن وعاظ الخليفة الرشيد، روى عنه الإمام أحمد وغيره، وهو القائل: كم من شيء إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع ضرّ، توفي عام 183هـ/799م. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج8، ص328-329. اليافعي، مرآة الجنان، ج1، ص304-305.

[13]- ابن الجوزي ، مناقب بغداد، تح محمد زينهم ومحمد عزاب، دار غريب للنشر، القاهرة، 1998 ،ص26.

[14]- ظهرت جماعة إخوان الصفا في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في مدينة البصرة، وأقاموا لدعوتهم فروعا في مدن العراق، وعملوا على وضع دائرة معارف تجمع بين مذاهب الشيعة والمعتزلة وبين نتاج الفلسفة، والتأليف بينهما في مذهب يناسب العامة، وقد قامت هذه الجماعة بكتابة إحدى وخمسين رسالة وكان شعارهم أن يكون الواحد منهم مخلصا حتّى الموت وفلسفته تبدأ بالنظر في الرياضيات ثمّ تنتقل إلى النظر في الطبيعيات والمنطق وتنتهي إلى معرفة الله على نمط الصوفية، وقد تأثّرت طوائف الإسماعيلية كالدرزية والنزاية بآرائهم وكان من أشهرهم أبو سليمان محمد بن نصر، وأبو الحسن علي بن هارون، وأبو أحمد المرجاني، وزيد بن رفاعة، وابن سيناء الطبيب

المشهور. أنظر: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، اعتناء خير الدين الزركلي، القاهرة، 1928، ج2، ص119. فهمي سعد، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة: دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي، بيروت، 1413هـ/1993م ، ص170.

[15]- حورية عبده سلام، الحياة الاجتماعية في العراق زمن البويهيين، دار العلم العربي، القاهرة،2008، ص107.

[16]- أبو سليمان المنطقي: هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، أبو سليمان المنطقي، عالم بالحكمة والفلسفة والمنطق، من أهل سجستان، سكن بغداد، ولزم منزله، لعور فيه وبرص كانا يمنعانه من إتيان منازل الأمراء والوزراء، فأقبل العلماء والحكماء عليه، وقد كان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه يكرمه ويفخمه، توفي حوالي سنة 380هـ/990م، من تصانيفه: مراتب قوى الإنسان، وشرح كتاب أرسطو. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص177. القفطي، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،1426 هـ/2005، ص185. الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/2000م ، ج3، ص166.

[17]- الخلع: تتفق كتب اللغة في تحديد معنى الخلع بأنّها كل شيء ملبوس، أو أنّها الثياب الّتي تخلع أو تنزع، كما تؤكد أنّ تلك الثياب عندما تخلع على الآخرين تكون بمعنى أنّها تعطى إليهم فتسمى خلعة وجمعها خلع، والخلعة في الاصطلاح هي حلل من حلل السلطان يكف عن لبسها ويخلعها على من يريد تكريمه، كما تعني ما يمنحه الخليفة من الملابس الفاخرة والسلاح والأموال والمراكب إلى من يريد تكريمه وتشريفه، والخلع من امتيازات الخليفة لذا عدّت من شارات الخليفة إلّا في حالات نادرة، وفي العصر العباسي أصبحت الخلع آية على الحظوة عند الخلفاء من بني العباس. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي للنشر، بيروت، 1419هـ/1999، ج1، ص882. طلب صبار الجنابي، رسوم دار الخلافة في العصر العباسي الأول 132-247هـ، تموز للنشر، دمشق،2013، ص33.

[18]- حورية عبده سلام، الحياة الاجتماعية، ص107.

[19]- خلود مسافر الجنابي، المجالس الاجتماعية، ص140. أشار ابن الجوزي إلى ذلك بقوله: "خسئت هذه الصناعة فتعرض لها الجهّال فبعد عن الحضور عندهم المميّزون من النّاس، وتعلق بهم العوام والنساء، فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص، وما يعجب الجهلة، وتنوعت البدع في هذا الفن". أنظر: تلبيس إبليس، دار الفكر للنشر، بيروت، 1421هـ/2001م، ص151.

[20]- كتاب القصاص والمذكرين، تح محمد بن لطفي الصّبّاغ، المكتب الإسلامي، بيروت،1403هـ/1983م، ص157.وفي هذا نشير أنّ ابن الجوزي أنكر على بعضهم أنّه إذا صعد المنبر غطّى وجهه وارتعد حتّى يفرغ القرّاء من القراءة ومنهم من يتبخر بالزيت والكمون ليصفر وجهه ومنهم من يمسك معه بصلا حتى إذا ما شمّه سال دمعه ليظن النّاس أنّه خاشع فينال احترامهم، كما قد يقوم الواعظ بأفعال وحركات مستنكرة، كما أنكر على الوعاظ الغناء والتطريب حيث قال:" تأملت أشياء في مجلس الوعظ يعتقدها العوام وجهال العلماء قربة وهي منكرة، وذلك أنّ المقرئ يطرب ويخرج إلى الغناء والواعظ ينشد بتطريب أشعار المجون". أنظر: كتاب القصاص والمذكرين، ص296-297.

[21]- جيهان سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية ، ص339.

[22]- المرجع نفسه، ص339.

[23]- الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، مكتبة المثنى، بغداد، 1964 ، ص128.

[24]- الجرايات: جمع مفردها جراية ، والجراية في اللّغة العربية أنّها الجاري من الوظائف، ويقال جرى له ذلك الشّيء ودرّ له بمعنى دام له، وأجريت عليه كذا أي أدمت، لذلك فالجراية تفيد معنى الاستمرار والدوام. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص142. والجراية تمنح للفقراء والمحتاجين من أهل العلم وأصحاب العاهات والمرضى من المجذومين، من غير أن يكون لذلك عوض سوى الأجر والثواب والتقرب إلى الله تعالى، لذلك فمن ضوابطها من حيث ما تكون فيه الجراية أنّها تكون في النقد والطعام واللباس والمنافع المتعلقة ببعض الأعيان، ولا تكون في غير المنقولات كالعقارات من الأراضي والدور والعمران، وإلّا كانت كالوقف وبعض وسائل الإنفاق المالي كالعطاء والرزق والفرض والقسم وغيرها من الوجه الّتي توزع بها الأموال. أنظر: أولاد ضياف رابح، الجراية في الدولة الإسلامية من

صدر الإسلام حتى سقوط بغداد (1-656هـ/622-1258م)، دكتوراه غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434هـ-1435 هـ/ 2014/2013، ص20.

[25]- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية للنشر، بيروت،1425هـ/ 2005 ، ج3، ص238. الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص 128.

[26]- خلود مسافر الجنابي، المجالس الاجتماعية، ص152.

[27]- طاق أسماء: بالجانب الشرقي من بغداد بين الرصافة ونهر المعلّى منسوب إلى أسماء بنت المنصور وإليه ينسب باب الطاق، وكان طاقا عظيما، وكان في دارها الّتي صارت لعلي بن جهشيار صاحب الموفق الناصر لدين الله الّذي أقطعه إيّاها الموفق، وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء في أيّام الرشيد، والموضع المعروف ببين القصرين هما قصران لأسماء هذا أحدهما والآخر قصر عبد الله بن علي. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص5.

[28]- ابن المعتز، طبقات الشعراء، تح عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص150.

[29]- والأمثلة على ذلك كثيرة كقول أبي دلامة يرثي المنصور ويهنئ المهدي فيما أورده كل من: ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص151. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص364. الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص174.

عيناه واحدة ترى مسرورة بإمامها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك مرة ويسؤها ما أبصرت ويسرها ما تعرف.

وقول أبي نؤاس يرثي الرشيد ويهنئ الأمين:

جرت جوار بالسعد والنحس فنحن في وحشة وفي أنس

العين تبكي والسن ضاحكة فنحن في مأتم وفي عرس.

[30]- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص21- 26. طلب صبار الجنابي، رسوم دار الخلافة، ص158.

[31]- طلب صبار الجنابي، رسوم دار الخلافة، ص159.

[32]- ابن المعتز،طبقات الشعراء،ص69.

[33]- ظهرت مجالس الشراب لأول مرة في عهد الهادي 169-170هـ/ 785-786م، ولكن كان يقصد به شرب النبيذ أي ما ينبذ من الفاكهة (عصير الفاكهة)، وكان هذا النوع غير محرم عند الحنابلة ما لم يسكر صاحبه، غير أنّه حرم عند المالكية للشبهة، لكن هذه المجالس تطورت بعد هذا الخليفة وأخذت منحى واتجاه آخر.

[34]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة ، ج4، (د ت)، ص91-104. فهمي سعد، العامة ببغداد، ص404.

[35]- طاهر بن حسين: هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ولد في مدينة بوشنج عام 159هـ، ونشأ فيها والتحق بخدمة العباسيين شأنه شأن أبيه وجده وذاع صيته في خراسان وعرف عنه حسن الإدارة والبراعة في القيادة، حيث كان طاهر في بداية أمره رئيساً لشرطة بغداد وجندها قبل أن يبدأ الصراع الدموي بين كل من الأمين والمأمون، وقد ولاه المأمون على بوشنج عندما كان المأمون واليا على مقاطعات المشرق العباسي.أنظر: حسن أحمد محمود، الاسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة ،1968م ، ص61.

[36]- فهمي سعد، العامة في بغداد، ص405. وقد تعرّضت حانات بغداد في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي للسرقة ولغزوات الجند، كما تعرّضت لنقمة المحتسب الّذي أراق خمورها وكسر عيدانها وطبولها. أنظر: أبو شجاع، ذيل كتاب تجارب الأمم، بعناية آمدروز، مطبعة التمدن، القاهرة، 1916م ، ص411.

[37]- أبو نواس: هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره، أبوه عربي، وأمه فارسية تدعى جلبان، ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة، لقّب بأبي نوّاس لوجود ذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقه، رحل إلى بغداد فاتصل فيها بخلفاء بني العباس، توفي سنة 198هـ/813م عن عمر يناهز تسعا وخمسين سنة ودفن بالشونيزي ببغداد. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص95

[38]- ابن المعتز: هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله ، ولد في سامراء سنة 247هـ/861م، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما، كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر، حسن الإبداع للمعاني مخالطا للعلماء والأدباء معدودا من جملتهم إلى أن

جرت له الكائنة في خلافة المقتدر، واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتّاب فخلعوا المقتدر سنة 296هـ/908م، وبايعوا عبد الله ولقبوه المرتضى بالله، ثمّ إنّ أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر وقاموا بقتل عبد الله بن المعتز سنة 296هـ/908م، ومن أهم آثاره كتاب البديع ، وكتاب حلي الأخبار، وكتاب طبقات الشعراء. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص76-80.

[39]- فهمي سعد، العامة في بغداد، ص407.

[40]- الشابشتي، الديارات، عناية كوركيس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، 1966 ، ص21. فهمي سعد، العامة ببغداد، ص408.

[41]- كركين: قرية من قرى بغداد قرب البردان. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص453.

[42]- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص58.

[43]- المرجع نفسه، ص 58.

[44]- المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص 221. مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع، ص58.

[45]- الذراع: وحدة للقياس استعملت في العمارة الإسلامية، وهي موروثة من وحدات القياس المتداولة في الحضارات العتيقة، وقد اختلف المقدرون لقيمتها بالضبط واختلف ذلك في خلال الحقب الزمنية، وكذلك المناطق والأقاليم فمثلا كان مقدار الذراع عند بناء مدينة بغداد 51.8 سم. أنظر: علي ثويني، معجم عمارة الشعوب الإسلامية، بيت الحكمة، بغداد، 1426هـ/2005م ، ص331.

[46]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص385.

[47]- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع، ص58.

[48]- ابن عبد ربه، العقد الفريد ، تح عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ/1983م ، ج6، ص31.

[49]- الشابشتي، الديارات ، ص154. فهمي سعد، العامة ببغداد، ص415.

[50]- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص332. فهمي سعد، العامة ببغداد، ص415.

[51]- فهمي سعد، العامة في بغداد، ص422.

[52]- حورية عبده سلام، الحياة الاجتماعية، ص103. وفاء محمد علي، الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ، (د ت) ، ص132.

[53]- المسعودي، مروج الذهب، ج8، ص100-102. حورية عبده سلام، الحياة الاجتماعية، ص104.

[54]- حورية عبده سلام، الحياة الاجتماعية، ص105.

[55]- مروج الذهب، ج8، ص108.

[56]- حورية عبده سلام، الحياة الاجتماعية، ص105. وفاء محمد علي، الخلافة العباسية، ص133.